

# يوسف بن علي على محنة

## على غدا مسر

بشير قاسم يوشع

ضعفه تغلب عليه فوافق على هذا الاقتراح على الرغم من عدم اقتناعه به . ١٠ شهر  
وبعد نجاح يوهلف وانتصاره على مصراته تخوف اخوه احمد أن يكون ضحية أخيه يوسف الثانية ، وطلب من والده أن يعين يوسف على برقة ليكون بعيدا عنه ولا تتعرض حياته للخطر ، ولكن يوسف الذي لم يكن يرضيه سوى أن يحكم طرابلس ، ولا يتورع عن قتل أخيه العقبة الوحيدة في طريقه لولا الحراسة الشديدة التي احاط نفسه بها ، فكر في أن ينقلب على أبيه وينزع منه الحكم ويتخلص منهما جميعا .

وفي ليلة ٢٣ يونية حاول يوسف الاستيلاء على القلعة ، وفطن اخوه احمد لهذه المحاولة فأغلق أبواب القلعة في وجهه ، واستمر يوسف في مهاجمة المدينة بجموع غفيرة من الموالين له ، ولما شعر بالمعجز عن فعل أي شيء للاحتياطات التي اتخذها والده وأخوه اضطر للانسحاب الى غريان وشرع في محاولة جمع الجنود لمهاجمة المدينة مرة أخرى .  
أرسل له والده خطابا بالعمو وطلب منه الحضور الى طرابلس ، على أن يعينه ( بيكا ) لبنغازي ولعلم يوسف بعداء أهالي بنغازي لأخيه احمد رأى أن يستغل هذه الفرصة ، ويوجد صفوف أهالي بنغازي ويزحف بهم على طرابلس وبينما هم في غمرة هذه الخلافات والانقسامات والمنازعات والمكائد وصلت الى ميناء طرابلس يوم ٢٨ يونيو ١٧٩٣ م سفن تحمل

من المعلوم أن علي باشا القراماني الذي تولى حكم طرابلس سنة ١٧٥٤م كانت الانكشارية مسيطرة عليه وكانت توجهه حسب رغبتها ، بالإضافة الى تعرض البلاد لوباء الطاعون سنة ١٧٨٥م مما سبب في انتشار الفوضى ، وادى الى اشعال نار الحرب بين القبائل ، وانحدار الحالة الاقتصادية الى اسوأ حال ، فانتهاز ابنه الاصغر يوسف الذي كان يتوق لحكم طرابلس الفرصة ، وغدر بأخيه الأكبر حسن المرشح لولاية العهد ، وقتله بمساعدة أعوانه أبشع قتلة عرفها التاريخ ، وذلك في يوليو ١٧٩٠ م ، ولضعف والده علي لم يستطع أن يفعل شيئا سوى أن يرسل في طلب حضور ابنه احمد وأمن ابنه القاتل وطلب منه الحضور أيضا ، وباجتماع يوسف بأخيه احمد أفهمه أنه لم يقتل أخاه بسبب ولاية العهد بل من أجل مشاجرة جرت بينهما ، وأنه لا يمانع أن يكون أخوه احمد الذي هو الأكبر منه وليا للعهد .

وفي يوم ٢٠ يوليو ١٧٩٠ م أعلن احمد بن علي القراماني وليا للعهد ، ولكن أهالي مصراته لم يقبلوا أن يحل يوسف محل أخيه حاكما لمصراته ، وهو الذي ما زالت يده ملطختين بدم أخيه ، مما حز في نفس يوسف وطلب من أبيه أن يجرد حملة عليهم ليرأسه لتأديبهم وإرجاعهم الى الخضوع والطاعة وقبوله حاكما عليهم ، ولقهم والده وفطنته الى الأبعاد التي كان يرمى اليها ابنه يوسف تردد في أول الامر ولكن







فوافقهم على ذلك ، واشترط لرفع الحصار ما يأتي :

١ - دفع الضرائب التي دفعوها لتونس مضاعفة عن مدة الخمس سنوات الماضية ، وقد قدرت هذه الضرائب بعشرين ألف مثقال من الذهب .

٢ - دفع ١٢٠ ألف محبوب ، أي حوالي ٤٨٠ ألف فركم نفقات الحملة .

٣ - إعادة دفع الضرائب كالعتاد لطرابلس سنويا .

وذكر أحمد النائب في ( المنهل العذب ) : أن المبلغ المفروض هو عشرون ألف مثقال من الذهب

العين ، وعشرون ألف محبوب ، ويقول النائب . .

وفي سنة ( ١٢٢١ ) احدى وعشرين ومائتين تجاسر الشيخ أحمد سيف النصر . . وفي هذه السنة انتقضت

غدامس ، وامتنعت عن اعطاء الجباية ، ويؤيد قوله هذا ما ذكره عزيز سامح أن الانتقاض وقع قبل

خمس سنوات من ارساله الحملة ، وهو سنة ١٢١٤ و .

ولكن هل حقا انتقضت غدامس ودفعت ضرائبها لتونس ؟ ولماذا استبدلت جابيا بأخر ! ، وإن صح

هذا فهل تم بمساع من الحكام التونسيين ، أم كان ذلك رغبة أهالي غدامس ، ثم لماذا تأخرت مساعي

يوسف باشا في استرجاع هذه الواحة الهامة لتجارة السودان لحس سنوات كاملة ، وأخيرا لماذا لم

يحاول باي تونس استعادة هذه المدينة أن كانت حقا انضمت اليه ولم يحرك ساكنا ؟

هذه الاسئلة تفرض نفسها ولا تكاد نجد لها اجوبة سوى هذه الاسطر القليلة التي تتحدث عن

هذه الحملة . ثم ان كلية الضم التي استعملها الاخ عمر بن اسماعيل كان الاولى أن يستعمل بدلها

كلية استرجاع مادامت غدامس سبق ان اعترفت بالحكم القراماني وكانت تدفع له ضرائبها ، ولم

تمتنع عن ذلك الا قبل خمس سنوات من الحملة . أن المصادر التي بين أيدينا حتى الآن لا تعطينا

أية أضواء حول هذه الأمور ، ولا يبدو أن تكون غدامس التي تعتبر نفسها حرة ولا تدفع الضرائب

الا كنوع من الترضية لتسلم تجارتها ، كفت عن هذا الدفع الذي لم تجد له أي مبرر سوى الابتزاز

والتسلط ليس الا . أولها أن الحكام التونسيين حاولوا جس نبض الحكام الطرابلسيين ، وطالبوا

غدامس بدفع ضرائبها اليهم حتى تكون تجارتها الصحراوية في مأمن ، وكانت في المقام الاول حريصة

على سلامة هذه التجارة ، ولا يضيرها دفع ضرائبها للحاكم الأقوى المهيمن على المنطقة مادام أهلها أحرار في

تجارتهم ، دون أن يشعروا نحوه بأية تبعية ، وبهذه الوثيقة التي ستنشر لأول مرة سنناقش بعض ما

كتب عن هذه الحملة ، لتتير لنا الطريق ، وتسلط بعض الأضواء على هذه الواقعة .

انها وثيقة اقرار اتفاق بين أهالي محلتى غدامس ،



الحداغ والدماء من الوصول الى حكم طرابلس ، ويسعى من حمودة باشا أيضا لدى الدولة العثمانية ورد اليه فرمان السلطان بتوليته رسميا باشا لطرابلس في سنة ١٢٠٠ و .

يقول عزيز سامح في كتابه ( الاتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية ) كانت واحة غدامس في السابق تابعة لطرابلس ، الا أنها منذ خمس سنوات انفصلت عن طرابلس ، واصبحت تدفع التكاليف الاميرية لتونس ، فبعث يوسف باشا ابنه على سنة ١٢٢٥ و . فأخذ من أهاليها ما يعادل الضرائب المدفوعة لتونس عن خمس سنوات وكانت تبلغ ٢٠٠٠٠ عشرون ألف مثقال من الذهب و ١٢٠٠٠٠ ومائة وعشرين ألف محبوب ذهبي عن مصاريف الجيش ، ثم عاد الى طرابلس بعد أن ترك المأمورين الإداريين بها .

أما عمر بن اسماعيل في كتابه ( انهيار حكم الاسرة القرامانية في ليبيا ١٧٩٥ - ١٨٣٥ ) فيقول : ( وفي سنة ١٨١٠ م قرر يوسف باشا ضم غدامس الى طرابلس فأرسل حملة الى غدامس بقيادة ابنه علي ، وحينما وصلت هذه الحملة الى غدامس رفض الأهالي الخضوع لسلطة يوسف باشا ، فقام على بمحاصرتها لمدة ثلاثة أيام ، ولما شعر الأهالي بمعجزهم عن المقاومة ، وخافوا أن يتعرضوا للسلب والنهب اذا انتصر هذا الجيش ، اجتمع العلماء منهم والوجهاء وطلبوا من علي الامان نظير الاعتراف بسلطة الباشا



الخضوع لسلطة يوسف باشا ، والحال أنهم علموا  
بقدم هذه الحملة سلفا ، فاعدوا لها ما يلزمها من  
دفع الاموال الواجبة ، - خلافا لحملة رمضان باي  
قائد القوات البرية التونسية سنة ١٠٠٧ و٠ التي  
استعدوا لها بتفريس البارود وترميم الاسوار ،  
وقابلوها بما يقابل به الغزاة الطامعون من الاستعداد  
للحرب والقتال - .

كما أن تاريخ الوثيقة ، وهو أواسط الربيعين  
عام ١٢٢٢ و٠ يجعلنا لا نطمئن للتاريخ الذي أورده  
عزيز سامح والنائب وهو سنة ١٢١٤ و٠ عن هذه  
الحملة ، إذ أن الوثيقة تقول : ( وبعد مصالحة الحملة  
وارتجالها قام أهل البلد على أمين الدفتر ) ، ولا  
يمكن بحال أن تتم المصالحة وترحل الحملة سنة

وبنى وليد ووازيت من القاضي الشيخ الفقيه على  
ابن عبد الله بن مدور ، وهي تتضمن اعترافا بحكم  
يوسف باشا قبل وصول حملته الى غدامس ، إذ  
تقول بالحرف الواحد ( ٠٠ ) ومواجهة للحملة القادمة  
اليينا من أمير المؤمنين حاكم دار الجهاد مدينة  
طرابلس سيدنا يوسف باشا أعزه الله تعالى ، وزاده  
عزا ونصرا ) ، كما توضح لنا هذه الوثيقة أن الأهالي  
قد تم الاتفاق فيما بينهم على تحضير المسال اللازم  
دفعه للحملة قبل وصولها إذ تقول : ( وقام حينئذ  
أهالي بلد غدامس بنى وليد وبنى وازيت ، وارادوا  
بيع المال المذكور ودفع ثمنه في موجباتهم اللازمة ) .  
وهذا ينفي أنهم خارجون عن هذا الحكم ، كما أورد  
الذين أرخوا لهذه الحملة من أن الأهالي رفضوا

#### الوثيقة رقم

المذكورة حيث تبين لهم من الصلاح والسداد في الحال  
والمال (١٢) ، الموافقة التامة ، ثم أنهم تسلفوا حينئذ  
من أناس متعددة ما يقابل الماء المذكور لتفدية بيعه  
حينئذ ، وواجهوا به الحملة المذكورة حتى يوافوهم  
بالسلف المذكور في المستقبل .

وبعد مصالحة الحملة المذكورة وارتجالها قام أهل  
البلد على أمين الدفتر المذكور المكرم الاجل الفقيه  
محمد بن سيدي إبراهيم بن علوان الغدامسي ،  
وطلبوا منه مسح المال المذكور من الدفتر ليوصلوه  
لأرباب السلف في مقابلة سلفهم ، وامتنع لهم الامين  
المذكور عن ذلك الا بحكم شرعي يتمسكه بيده يتحصن  
به ويدفع به عن نفسه كل من يقوم عليه ، وأشاروا  
الى الشيخ القاضي المذكور وطلبوا منه الاذن للامين  
المذكور في ذلك .

ثم أن الشيخ المذكور اذن للامين المذكور أن  
يمسح ذلك لهم ويكتب لكل واحد من تسلك منه  
شيئا قسطه في الدفتر اذا تأما ، والزمه ذلك الزاما  
عاما ، ثم أن الامين اذعن وانقاد (١٣) الى ما اذن  
اليه الشرع ، وسلط يده على الدفتر ، ونزع الاسماء  
السابقة فيها ، وكتبه على اسماء اربابه حسنيما هو  
مقيد فيه الآن ، وأبرأ منها ، وعرفوا قدره ، وبه  
شهد على الشيخ المذكور بالأذن وبما فيه عنه من  
أشده وهو بحال الكمال ، بتاريخ أواسط أول  
الربيعين عام ثلاثة وثلاثين بسد مائتين وألف .  
( استندرك ، وايضا ثمانية فوائيد أخرى في وجبة  
يوم طياش المذكور وعم عليهم الحكم والاذن في المسح ،  
ومسح الامين وابرى من الجميع ، وبه صبح في شهر  
جواد الأول من العام المذكور ، الفقير الى ربه تعالى  
بلقاسم بن عثمان الغدامسي لطيف الله به ) (١٤)  
والفقير الى ربه تعالى محمد بن محمد بن عبد الله بن  
محمد بن يونس الغدامسي كان الله له أمين .

الحمد لله ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله  
وصحبه وسلم تسليما كثيرا طيبا  
كان طهر بعين بلد غدامس (١) من ساقية  
تصكو (٢) ثلاثة ضراميس غير ربع ضرميسة ما  
ليل (٣) من وجبة ليلة النفوس (٤) ، من ذلك  
ضرميسة وربع مقيد وحده . ايضا (٥) ضرميسة  
وربع للكفارات (٦) وربع ضرميسة على اسم  
المستورات (٧) ، وايضا تامين اثنين (٨) واحدى  
عشر فانز (٩) ماء نها ، من ذلك تامين واربعمة  
فوانز في وجبة يوم صالغ على اسم الكفارات ،  
وسبعة فوانز في وجبة يوم طياش على اسم المستورات  
حسنيما هو مقيد في الدفتر ، وصار ذلك من مجهولات  
الارباب ، حق من حقوق المسلمين .

وقام حينئذ أهل بلد غدامس ، بنى وليد وبنى  
وازيت ، وارادوا بيع الماء المذكور ، ودفع ثمنه في  
موجباتهم اللازمة ، ومواجهة للحملة القادمة اليينا  
من أمير المؤمنين حاكم دار الجهاد مدينة طرابلس ،  
سيدنا يوسف باشا أعزه الله تعالى ، وزاده عزا  
ونصرا (١٠) وفي ضرورياتهم ومصالحهم التي لا بد  
منها (١١) ، وطلبوا من الشيخ الفقيه القاضي سيدي  
على بن سيدي عبد الله بن محمد بن مدور الموافقة  
فيما ذكر ، وناولوه البرنامج المنسوخ من الدفتر  
القائم فيه القيود المذكورة على حسب نصه عمن  
التفصيل . وتصفحه الشيخ المذكور وحقق نظره  
وفكره فيه ، فألفاه كما ذكر ، وحكم بملكيتهم وإباحه  
بيعه ، ووافق لهم في أن يصفروه في المصاريف





# الثقافة العربية



نأفذك على  
عالم الفكر  
والثقافة

١٢١٤ هـ ولا يطلب الأهل اتسام الأمر الذي بدأه ويعتبرونه من الأمور الهامة إلا بعد مرور ثمانى سنوات .

وعلى كل ارجو ان أكون بهذه الكلمة المتواضعة قد سلطت بعض الاضواء على هذه الحملة ووضعت هذه الوثيقة أمام الدارسين والباحثين عليهم يكتشفون منها جوانب أخرى أهم ، لا تخفى على الناقد البصير .

بشير قاسم يوشع

المراجع :

- ١ - انهيار حكم الاسرة القرمانلية في ليبيا ١٧٩٥ - ١٨٢٥ لمصر على بن اسماعيل .
- ٢ - المنهل الطيب في تاريخ طرابلس الغرب - لاهيد النائب الانصارى الطرابلسى .
- ٣ - الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية - لعزیز سامح .
- ١ - يقصد عين الفرس .
- ٢ - في الاصل ساقيت تصك .
- ٣ - ماء ليل = يسقى بالليل ، علما بان هذه العين كانت تجرى ليلا ونهارا ، والمالك لاء الليل يسقيه في الليل ، والمالك لاء النهار يسقيه في النهار ، ولكن الفى هذا النظام فيما بعد ، واصبح المزارعون يسقون في اى وقت تصل المياه الى مزارعهم دون مراعاة لهذه القاعدة .
- ٤ - ليلة انفوس الماء بهذه العين ، كان يدور على ١٣ يوما - اعنى ليلا ونهارا - ، وكل يوم يسمى باسم معين . وهي : انفوس - عمران - مولى - صالح - بقايا - اسحاق - طياش - بالى - آدم - سنجاسن - عتبة - اكاي - شطار .
- ٥ - في الاصل ايضا ، وقد تكرر هذا في هذه الوثيقة وهذا مألوف في بعض الكتابات الفداسية .
- ٦ - الكفارات = غير مفهوم .
- ٧ - المستورات = غير مفهوم .
- ٨ - تنام = حساب عين الفرس ، لا يستعمل في اللغة الاخيرة .
- ٩ - فانز = حساب لا يستعمل اخيرا .
- ١٠ - فانز = حساب لا يستعمل اخيرا .
- ١١ - في الاصل لا يد منه .
- ١٢ - في الاصل المال .
- ١٣ - في الاصل انقاذ .
- ١٤ - الاستدراك بين قوسين ، هو بفتح مخالف للخط الاول الذى كتب به الحكم الذى لم يعرف كاتبه ، اما الاستدراك فهو بفتح الشاهد الاول بلقاسم بن عثمان الفداسى .